﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤﴾ [الأحزاب: 34]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

عَـودٌ عـلى بـدءٍ مـن تـذكـيرِ أمّهاتِ المؤمنين بـمـكـانـتـهـنَّ وامتيازهنَّ على النّساء

ختمَ البيانُ القرآنيُّ توجيهاته لنساءِ النبيّ ﷺ بمثلِ ما بدأها به؛ بتذكيرهنّ بعلوِّ مكانتهنَّ، وامتيازهنَّ على النّساء، وبمكانهنّ من رسولِ الله ﷺ، وبما أنعمَ الله عليهنَّ، فجعلَ بيوتهنّ مهبطَ القرآن، ومنزلَ الحكمة، ومشرقَ النّورِ والهدى والإيمان.

وهذا التّذكيرُ يجيءُ كذلك في ختامِ الخطابِ الذي بدأ بتخيير نساءِ النبيّ ﷺ بين متاعِ الحياةِ الدنيا وزينتها، وإيثارِ اللّه ورسوله والدّار الآخرة؛ لتبدوَ جزالة النّعمة التي ميّزهنّ اللّهُ بها، وضآلة الحياةِ الدنيا بمتاعها كلّه وزينتها.

العظمةُ والمكانةُ الرَّفيعةُ تقتضي التَّحلّي بأسبابها بدراسةِ القرآنِ والسُنّة

لمّا ضَمِنَ اللّهُ لنساءِ النبيّ ﷺ العظمةَ والمكانةَ الرَّفيعةَ؛ أمرَهُنَّ بالتَّحلّي بأسبابها، والتَّملّي من آثارها، والتَّزودِ من علمِ الشَّريعة بدراسةِ القرآن؛ ليجمعَ ذلك اهتداءَهنَّ في أنفسهنَّ ازديادًا في الكمالِ والعلم، وإرشادَهنَّ الأمةَ إلى ما فيه صلاح لها من علمِ النبيّ ﷺ[1].

كمالُ التّشريفِ يقتضي كمالَ التّكليفِ

بعْدَ أنْ أمرهنَّ بإقامةِ الصّلاة وإيتاءِ الزكاةِ وإطاعة اللّهِ ورسولِه وغير ذلك ممّا هو فعلٌ وتركٌ؛ أشارَ بعدها إلى أنَّ التَّكاليفَ غيرُ منحصرةٍ في ذلك، فأمرهنَّ بالعلمِ، وبيَّنَ لهنَّ طَريقَه؛ بتعلُّمِ الواجباتِ كلِّها الواردةِ في القرآنِ والسُنّة؛ ليأتينَ بها، وتعلّمِ المحرّماتِ بأسرها فينتهينَ عنها، فقال: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ﴾[2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 18.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 168، والسّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 663.

الإنعامُ بما هو من آثارِ إذهابِ الرّجس والتّطهير بكونِ بيوتهن مهبطَ الوحي القرآني

لمّا ذكرَ ما فيه رفعة مكانةِ أمّهاتِ المؤمنين إلى أنْ ختمَ بالتّطهير؛ أتبعهُ التّذكير بما أنعمَ سبحانه به، ممّا أثرهُ التّطهير من التّأهيل لمشاهدةِ ما يتكرّرُ من تردّدِ الملائكةِ بنزولِ الوحي الذي هو السببُ في كلّ طُهرٍ ظاهرٍ وباطن؛ فقال - مخصّصًا من السياق لأجلهنّ، منبّهًا لهنّ على أنّ بيوتهنّ مهابطَ الوحي ومعادن الأسرار -: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَٱذۡكُرۡنَ﴾: (ذكر) ذَكَرْتُ الشيءَ: خِلافُ نَسيتُهُ، ثم حُملَ عليه الذِّكْرُ باللسان، ويقولون: اجْعَلْهُ منكَ على ذُكْرٍ - بضمّ الذال -، أي لا تَنْسَهُ[2]، والذِّكْرُ: الحِفْظُ للشيءِ تَذْكُرُه، والذِّكْرُ أيضًا: جَرْيُ الشيءِ على لسانكَ، وأذْكَرَهُ إيّاه: ذَكَّرَهُ، والاسمُ الذِّكْرَى، أي: اسم للتّذكير[3]، ومعنى ﴿وَٱذۡكُرۡنَ﴾ في الآية يجوز أنْ يكون من التّذكّر، وهوَ أنْ لا يَنْسَيْنَ ما جاءَ في القُرْآنِ ولا يَغْفُلْنَ عَنِ العَمَلِ بِهِ، ويجوز أنْ يكون من الذِّكْرِ، أيْ: بَلِّغْنَهُ لِلنّاسِ بطريقِ العظةِ والتّذكيرِ؛ بِأنْ يَقْرَأْنَ القُرْآنَ ويُبَلِّغْنَ أقْوالَ النَّبي ﷺ وسيرَتَهُ[4].

2) ﴿يُتۡلَىٰ﴾: (تلو) أصلٌ واحدٌ وهو الاتّباع، تَلَوْته تُلُوًّا: تَبِعْتُهُ، ومِنْهُ تِلاوَةُ القُرْآنِ، لِأنَّهُ يُتْبِعُ آيَةً بَعْدَ آيَةٍ[5]، والتلاوةُ: القراءةُ، وقيل القراءةُ من مكتوب، ثم عُمّم في القراءةِ عن ظهرِ قلبٍ، أي: من غير المكتوب[6]، والتِّلاوَةُ تَخْتَصُّ باتِّباعِ كُتُبِ اللّه المُنْزَلَةِ تارَةً بالقِراءَةِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 347.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذكر).
(3) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (ذكر).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 8.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (تلو).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقي: (تلو).

وتارَةً بالارْتِسامِ لما فيهِ مِن أمْرٍ ونَهْيٍ وتَرْغيبٍ وتَرْهيبٍ، أو ما يُتَوهّمُ فيهِ ذلكَ[1]، والمقصودُ بـ﴿يُتْلَىٰ﴾: يُقرأ[2].

3) ﴿وَٱلْحِكْمَةِۚ﴾: (حكم) أصلٌ وهو المنعُ، وأوّلُ ذلك الحُكْم هو المنعُ من الظلم، والحكمةُ هذا قياسها؛ لأنّها تمنعُ من الجهل[3]، والحِكْمةُ: إصابةُ الحقِّ بالعلمِ والعقل، وقيل: الحِكْمَةُ عِبارَةٌ عَنْ مَعْرِفَةِ أَفْضَلِ الأشياء بِأَفْضَلِ العُلوم، فالحكمةُ من اللّهِ تعالى: علمُ الأشياءِ وإيْجادُها على غايةِ الإحكام، ومن الإنسان: معرفةُ الموجوداتِ وفعلُ الخَيْرات، واستعملها القرآنُ بعدّة مَعانٍ منها: النبوّة، والقرآن والتوراة والإنجيل، وطاعة اللّه، والفهم[4]، والمراد بالحكمة في الآية: ما أوحيَ إلى رسول اللّه ﷺ من أحكامِ دين اللّه، ولم ينزلْ به قرآن، وذلك: السُنّة[5].

المَعْنى الإجْماليُّ:

يذكّرُ الحقُّ ﷻ في ختامِ خطابِ أزواجِ النَّبي ﷺ نعمةَ اللّه عليهنّ؛ بأنْ جعلهنَّ في خيرِ بيوتٍ؛ لأنّها مهابطُ الوحي، وفيها تُتْلى آياتُ اللّه والحكمة، فعليهنَّ أنْ يتذكرنَ نعمةَ اللّه فيشكرْنَ اللّهَ ويحمَدْنَه على ذلك، وأنْ يَذكُرنَ بالتِّلاوة والحفظِ والتّذكير ما يُقرأُ في بيوتهنّ من آياتِ اللّه والحكمةَ؛ وهي ما أوحيَ إلى رسولِ اللّه ﷺ من أحكامِ دين اللّه، ولم ينزلْ به قرآن، وذلك السُنّة، ويختمُ بتأكيدِ المنّةِ عليهنّ بقوله: إنّ اللّهَ المتّصِفَ أزَلًا وأبدًا باللُّطف، المتضمَّنِ علمَه بالأشياءِ الدَّقيقةِ كان ذا لطفٍ بكنَّ؛ إذْ جعلكنَّ في البيوتِ التي تُتلى فيها آياتُ اللّه والحكمة، خبيرًا بكنَّ إذِ اختاركنَّ لرسولِه أزواجًا[6].

كونِ بيوتِ نساء النبيّ موقعَ مهبطِ الوحي نعمةٌ عظيمةٌ تترتّبُ عليها عِظَمُ مسؤوليّة التّبليغ

(1) الراغب، المفردات: (تلو).
(2) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 267.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حكم).
(4) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (حكم).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 268، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 416.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 268، وصديق خان، فتح البيان في مقاصد القرآن: 11/ 89.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغة الوصل في الآية:

أمرٌ إلهيٌّ لنساءِ المؤمنين بالعِلمِ وبيانٌ لطريقه بعد أمرهنّ بالعَمَلِ

عطَفَ البيانُ القرآنيُّ قولَه تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ على جملة: ﴿وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ﴾[1]، وما بينهما وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ جملةٌ اعتراضيّةٌ تعليليّةٌ بين الأوامرِ والنّواهي المتعاطفة[2]، وكذلك أخّر المعطوف ليكونَ كالخاتمةِ الَّتي تشتملُ على التَّخلصِ إلى شروعِ نوعٍ آخر من الكلام[3]، وهو توجيهُ الخطاب لكلّ المسلمين المتّصفين بما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ﴾ بعد أنْ توجّهَ بالخطابِ لنساءِ النبيّ ﷺ، أو أخّره لكونه تقريرًا لِما قبله من الأمرِ والنهي[4].

وهذا العطفُ بين الأوامر الإلهيّة لأمّهات المؤمنين يضيفُ أمرًا جديدًا على الأوامر السابقة، وهو أنّه قد أمرهنّ بالعِلمِ، وبيَّنَ لهنَّ طَريقَه بعد أنْ أمرهنّ بالعَمَلِ الَّذي هو فِعلٌ وتَركٌ[5].

دلالة استعمال الفعل ﴿وَٱذۡكُرۡنَ﴾:

الذِّكرُ كلِمةٌ جامعةٌ شاملةٌ لمعانٍ تستوجبها عِظَمُ مكانةِ أمّهات المؤمنين

آثرَ البيانُ القرآنيُّ استعمالَ مادَّةِ الذّكرِ في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾؛ لِما لها في الآية من موقعٍ شريفٍ؛ لِتَحمُّلِها عدّة محاملَ[6] لا تناقضَ بينها ولا تعارضَ، بل يكمّلُ بعضها بعضًا، ممّا لا يَتحمَّلُه غيرُها إلّا بإطنابٍ، أي: لاتّساعِ دلالتها، وبيانُ ذلك بكون الفعلِ ﴿وَٱذۡكُرۡنَ﴾ يَجوزُ أنْ يكونَ مِن الذُّكرِ - بضَمِّ الذّالِ - وهو التَّذكُّرُ، وهذه كلمةٌ جامعةٌ تَشملُ المعنى الصَّريحَ منه، وهو ألّا يَنْسَيْنَ

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 17.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 14.
(3) حاشيتا القونوي وابن التمجيد على تفسير البيضاوي: 15/ 356.
(4) حاشيتا القونوي وابن التمجيد على تفسير البيضاوي: 15/ 357.
(5) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 663.
(6) الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن: 4/ 347، وأبو حيان، البحر المحيط: 8/ 479.

ما جاء في "آيات كتابه تعالى، وسنّةِ نبيّه اللّتين فيهما حياةُ الأنفسِ وسعادتها وقوامِ الآداب والأخلاق، وذكرُ ذلك مستوجبٌ لتصوّر عظمته ومكانته وثمرةِ منفعته، وذلك يجرّ إلى العمل به"[1]، ويَشملُ المَعنى الكِنائيَّ؛ وهو أنْ يُرادَ مُراعاةُ العَملِ بما يُتْلى في بُيوتِهنَّ ممّا يَنزِلُ فيها، وما يَقرَؤُه النَّبيُّ ﷺ فيها، وما يُبيِّنُ فيها مِن الدّينِ، أي: "أرادَ ذلك تعبيرًا عن المسبّب باسم السبب"[2]، ويَشملُ معنًى كِنائيًّا ثانيًا؛ وهو تَذكُّرُ تلك النِّعمةِ العظيمةِ أنْ كانتْ بُيوتُهنَّ مَوقعَ تِلاوةِ القرآنِ، وهذا "يوجبُ قوّةَ الإيمانِ والحرصَ على الطّاعة؛ حثًّا على الانتهاءِ والائتمار فيما كُلّفنَه"[3].

ويجوزُ أنْ يَكونَ مِن الذِّكرِ - بكَسرِ الذّالِ - وهو إجراءُ الكلامِ على اللِّسانِ، أي: بلِّغْنَهُ للنّاسِ؛ بأنْ يَقرَأْنَ القرآنَ، ويُبلِّغْنَ أقوالَ النَّبيِّ ﷺ وسيرتَه، وفيه كِنايةٌ عن العَملِ به[4].

وكذلك فإنّ الذِّكْر ضدُّ النسيان[5]، فهو استحضارُ الأمرِ واستدعاؤه وعدمُ نسيانه، وجعله على البال دومًا، والذّكرُ أخفُّ العباداتِ وأيسَرُها على النّفس، فلا يمنعُ منه سَعْيٌ ولا عملٌ، فهو يجري على اللسان في أيِّ وقت، وعلى أيّ حالٍ وبدون استعدادٍ، وهو كذلك أثقلُ العبادات في الميزان قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: 45][6]، وهو الأنسبُ مع السياق الذي امتُدِحَ فيه المُتَّصِفون بالذّكر الكثير قال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ وخُتمَ به لكونِ كلّ الأعمال التي سبقته تستلزمه.

وجه التّعبير بصيغةِ الأمرِ في ﴿وَٱذْكُرْنَ﴾:

التّعبيرُ بصيغةِ الأمرِ الذي يقتضي وجوبَ الذّكرِ بجميعِ معانيه السابقة، يدلُّ على وجوبِ ما يصدقُ عليه الأمر مِن امتنانِ اللّه عليهنَّ بهذه النّعمةِ، ووجوبِ شكره عليها، إذ أكرمهنّ فجعلهنَّ أزواجًا لرسولٍ كريم يتلقّى الوحيَ من ربّه، ومن وجوبِ تدبّره والتّفكّر

(1) القاسمي، محاسن التأويل: 8/ 75.
(2) القاسمي، محاسن التأويل: 8/ 75.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 231.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 18 - 19.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، والزبيدي، تاج العروس: (ذكر).
(6) الشّعراوي، تفسير الشعراوي: 19/ 12027 - 12028.

فيه والعملِ به، ومن وجوبِ حفظه وقراءته وتبليغه إلى النّاس[1]، وتفيدُ صيغةُ الأمر الاستمرارَ، والمعنى: "واذكرنَ في أنفسكنّ ذكرًا متّصلًا، وذَكِّرْنَ غيرَكنَّ على سبيلِ الإرشاد، بما يُتلى في بيوتكنّ من آياتِ اللّه"[2].

الذّكرُ والتّذكّرُ لما يُتلى من القرآن والسُّنّة واجبٌ على أمّهاتِ المؤمنين

وجه إيثار ﴿مَا﴾ الموصولة دون الاسم الظاهر:

آثرَ البيانُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بالاسم الموصول ﴿مَا﴾ وصلته ﴿يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ دون الاسمِ الظاهر، فلم يقلْ: (واذكرنَ المتلو في بيوتكنّ)؛ للاهتمامِ والعنايةِ بصلته التي هي مناطُ الحكم، والزيادة في تقريرِ مضمونها وتفخيمِه، ولِما في الصلةِ من الإيماءِ إلى أنّ المذكورَ شيءٌ مهمٌّ وعظيم وهو: آياتُ اللّهِ الدّالَّةُ على إعجازِ قرآنه، وما اشتمله من أحكامٍ وحِكم، أو آياتُ القرآن والسُّنّة.

في الموصوليّة عمومٌ لكلّ ما يُتلى وإيماءٌ إلى أنّ المتلوّ شيءٌ مهمٌّ وعظيمٌ

ويفيدُ التعبيرُ بالموصوليّةِ هنا أيضًا العمومَ، والمعنى: واذكرنَ كلّ الذي يُتلى في كلِّ بيتٍ من بيوتكنَّ من آياتِ اللّهِ والحكمة، سواءٌ كان قليلًا أو كثيرًا، وسواءٌ كانتِ التّلاوة من رسولِ اللّه أو منكنّ أو من أي أحدٍ من الصحابة، وسواءٌ كان يتعلّقُ بالجوانب العَقَديَّة، أو التّشريعيّة، أو الأخلاقيّة في آياتِ اللّه وسُنّةِ نبيّه ﷺ، وفي هذا تنبيهٌ لنساءِ النبيّ ﷺ على ضرورةِ استغلالِ أفضل الفرص التي تُتاحُ لهنّ في سبيلِ الإحاطةِ بحقائق الإسلام والعلم بها وبأبعادها.

وفي ﴿مَا﴾ أيضًا إبهامٌ فسّره صلةُ الموصول بعدها، وفي مجيئها مبهمةً تشويقٌ لمعرفةِ المبهَم، وهو المتلوُّ في بيوتِ نساء النبيّ ﷺ.

إيثار لفظ التلاوة دلالة وصيغة:

وجوبُ إكثارِ أمّهات المؤمنين مِن الذِّكرِ والتَّذكيرِ وتَمكُّنِهنَّ فيه

آثرَ البيانُ القرآنيُّ في قوله: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ﴾ لفْظَ التِّلاوةِ في البُيوتِ دونَ النُّزولِ فيها، معَ أنَّ التّعبيرَ بالنّزولِ فيهِ تشريفٌ بكَونِها

(1) ابن العربي، أحكام القرآن: 3/ 490.
(2) سيد طنطاوي، التفسير الوسيط: 11/ 209.

مَهبِطَ الوحْيِ؛ لِعُمومِها لِجَميعِ الآياتِ، ووُقوعِها في كلِّ البيوتِ؛ بما يدلُّ على وجوبِ كثرةِ ذكرهنَّ لكلِّ ما يُتلى من آياتِ اللهِ وسُنّة رسوله ﷺ، ولو عبّر بالنّزولِ لاقتصرَ الأمرُ على أنْ يذْكُرنَ ما يتنزّلُ في بيوتهنّ فقط، كما أنّ التلاوةَ تعني "إعادة كلامٍ مكتوبٍ أو محفوظ"[1]، فالقارئُ يتلو بعضَ الكلامِ ببعض، وفي هذا التكرُّرِ للآياتِ إيجابٌ لِتمكُّنهنَّ من الذِّكرِ والتَّذكيرِ، بخلافِ النُّزولِ[2].

وآثرَ التّعبيرَ بصيغةِ المبني للمفعولِ ﴿يُتْلَىٰ﴾، أي: لم يعيّن التّالي؛ لِتَعُمَّ تِلاوةَ جبريلَ، وتِلاوةَ النَّبيِّ عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ، وتِلاوتَهنَّ، وتِلاوةَ غيرِهنَّ؛ تَعليمًا وتَعلُّمًا[3]، فلو أتى بالمبني للمعلوم لقيّده بتالٍ واحد فقط، وكذلك للتَّركيز على الحدثِ ذاته، أي: تلاوة الآياتِ والحكمة، وحصر الوعي فيه، فلا يتوزّع في غيره؛ لعدمِ تعلّق غرضِ الآيات بشخصِ التّالي.

وجوبُ الذّكر والتّذكّر من نساءِ النبيّ لكلِّ ما يُتلى في بيوتهنّ

معنى ﴿فِي﴾ في قوله ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ﴾:

جاء حرفُ الجرّ ﴿فِي﴾ في قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ بمعنى الظّرفيّة الحقيقيّة المكانيّة؛ لتشيرَ إلى شرفِ هذه البيوت التي تمكّنتْ فيها آياتُ اللهِ وسُنّة نبيّه ﷺ، لتكونَ بذلك منارَ هدايةٍ للأمّةِ ومقصدَ النّاس طلبًا للهداية.

بيوتٌ شريفةٌ تمكّنتْ فيه آياتُ اللهِ وسُنّةُ نبيّه

نكتة تقييد المتلوّ بـ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ﴾:

قيَّدَ البيانُ القرآنيُّ المتلو بالجار والمجرور ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾؛ تعيينًا لهذهِ البيوتِ الشريفةِ، بيوتِ نساءِ النبيّ ﷺ؛ إذ يمكنُ أنْ يقول: (واذكرنَ ما يُتلى من آياتِ اللهِ والحكمة)، وفي هذا التّعيين إشارةٌ إلى أنّهنّ - وقد خصّهنّ اللهُ تعالى بجعلِ بيوتهنّ موطنًا

مَنْ جُعلتْ بيوتهنّ موطنًا لنزولِ القرآنِ والحكمةِ أحقُّ بالتّذكيرِ وبالعملِ الصالح

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 18.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 103.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 103.

لهبطِ الوحي ونزولِ القرآن ولنزولِ الحكمة - أحقُّ بهذا التّذكير، وبالعملِ الصالح من غيرهن[1]، وهذا التّقييد كذلك يناسبهُ قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ فالقرارُ في مركزِ نورِ القرآن يجعلكنّ قادراتٍ أكثرَ من غيركنّ على أنْ تستفدنَ كثيرًا من الآياتِ التي تدوّي في فضاءِ بيتكنّ، ومن تعليماتِ الإسلام وحديث النّبي ﷺ الذي كان يتحدّث به؛ فإنّ كلّ نَفَسٍ من أنفاسهِ درسٌ، وكلّ لفظٍ من كلامه برنامجُ حياة.

سرّ تقديم شبه الجملة ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ﴾:

قدّم البيانُ الحكيم شبهَ الجملة ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِۚ﴾؛ اهتمامًا بهذه البيوتِ الشريفة، وأنّها المعنيّة بالتّلاوة فيها، والمعنى: واذكرنَ هذه النّعمة التي كُرِّمْتُنَّ بها من بين الناس، وهي أنّ الوحيَ ينزلُ في بيوتكنّ دون سائرِ النّاس، وعائشة الصديقة بنت الصديق أوّلاهُنَّ بهذه النّعمة، وأحظاهنّ بهذه الغنيمة والرّحمة العميمة، فإنّه لم ينزلْ على رسولِ الله ﷺ الوحيُ في فراشِ امرأةٍ سواها، قال ﷺ: «يا أمَّ سلَمةَ لا تُؤْذيني في عائشةَ، فإنّه واللهِ ما نزلَ عليّ الوحيُ وأنا في لحافِ امرأةٍ منكنّ غيرِها»[2]، وفيه كذلك توكيدٌ ومبالغةٌ في أمرهنّ بتبليغه؛ لأنّ تلاوته في بيوتهنّ مَظِنّةٌ لاختصاصهنّ بسماعهِ عن غيرهنّ من النّاس، فينبغي أنْ يكون وُجوبُ تبليغه عليهنّ وجوبَ فرضِ العين، لا وجوبَ فرضِ الكفاية[3].

في الاهتمامِ ببيوت أمّهات المؤمنين مبالغةٌ في أمرهنّ بتبليغِ ما يُتلى في بيوتهنّ

معنى ﴿مِنْ﴾ في ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾:

﴿مِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بيانيَّةٌ؛ أي: بيانُ لِما يُتلى فكلُّ ذلك متلوٌّ، وذلك القرآن، وقد بيّن المتلوَّ بشيئين: هما آياتُ الله،

بيانٌ لما أُبهمَ في الاسمِ الموصول من المتلوّ الواجبِ تذكّره والتّذكير به

(1) سيد طنطاوي، التفسير الوسيط: 11/ 20.
(2) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة ﵂، حديث رقم: (3775).
(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 296.

والحكمة[1]، أي: هي بيانٌ لِما أُبهمَ في الاسم الموصول ﴿مَا﴾ فيتعلَّقُ بـ(أعني) المقدّرة[2].

سرُّ التَّعبيرِ بالآياتِ دون الكتابِ:

الآيـاتُ علاماتٌ دالّةٌ على إعجازِ القـرآن ونـزولـه مفرّقًا

آثرَ البيانُ الحكيمُ التَّعبيرَ بلفظِ ﴿ءَايَٰتِ﴾ دون لفظ (الكتاب) في قوله تعالى: ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ إمّا لأنّ القرآنَ نزلَ منجّمًا على آياتٍ متفرّقة، ولم ينزلْ دفعةً واحدةً، أو أنّ المقصودَ بالآياتِ هي العلاماتُ الدّالّةُ على إعجازِ القرآن، وعُبِّر عنها بلفظ آياتِ القرآن؛ لأنّها استكملتْ كُنْهَ الآياتِ باشتمالها على عظمِ الدّلالة على الحقّ، وإذ هي معجزاتٌ بنظمها ولفظها[3]، وهذا يناسبهُ التعبيرُ بلفظِ الآية التي معناها في اللغة العلامةُ والبرهانُ والمعجزةُ، وبذلك يكون التعبيرُ بلفظِ الآية إشارةً إلى إعجازِ القرآن، ثم إنّ التعبير بلفظ ﴿ءَايَٰتِ﴾ أنسبُ للسياق الذي ورد فيه فعلُ التلاوة ﴿يُتْلَىٰ﴾ فالتلاوةُ هي التتابعُ، وهذا يناسبُ تتابعَ نزول الآيات.

دلالة جمع الـ﴿ءَايَٰتِ﴾:

التّكليف لنساءِ النبيّ بذكرِ آياتِ اللـه الـكـثـيرةِ المتـعـدّدة دليلٌ عـلـى عـظـيـمِ مسؤوليّتِهنَّ

عبّر البيانُ القرآنيُّ بلفظ ﴿ءَايَٰتِ﴾ جمعًا في قوله تعالى: ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ للدّلالة على كثرةِ هذه الآيات وتعدّدها وعِظَمِها، وهذا هو الموافقُ للواقع فإنّ المنزّلَ على رسولِ الله هو آياتٌ كثيرةٌ متعدّدةٌ؛ سواءٌ قُصد بها القرآن أو العلامات الدّالّة على إعجازه، وفي هذا التّكليفُ لنساء النبيّ ﷺ، والإيجابُ بذكرِ آياتِ الله الكثيرةِ المتعدّدة، وتذكّرها والتّذكير بها، وفي هذا دليلٌ على عظيمِ مسؤوليتهنّ.

سرُّ تعريف الآيات وإضافتها:

عرّفَ البيانُ القرآنيُّ لفظَ ﴿ءَايَٰتِ﴾ بإضافتها إلى الاسمِ الجليلِ ﴿ٱللَّهِ﴾ في قوله ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ وذلك لِما في الاسمِ الجليلِ من التّذكيرِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 18.
(2) السمين الحلبي، الدر المصون: 9/ 124، والدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 7/ 483.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 70.

بأنّه حقيقٌ بأنْ لا تُغفَلَ آياتُه، وتأكيدًا لاستحقاقِ أمّهاتِ المؤمنين للمكانةِ العظيمة؛ إذ ما يُتلى في بيوتهنّ هي آياتُ اللّه سبحانه، وفي الإضافةِ تشريفٌ وتعظيمٌ للآياتِ بالنّظرِ للّذي أنزلها ونُسِبتْ إليه، وتنبيهٌ وتحريضٌ وتهييجٌ لأمّهاتِ المؤمنين للقيامِ بوظيفتهنّ التي شرّفهنّ بها اللّهُ من ذكرِ هذه الآياتِ، والاتّعاظِ بها وتبليغها للنّاس.

تعظيمُ اللهِ وتربيةُ مهابتِهِ في النّفوس أعظمُ دافعٍ لئلّا تُغفلَ آياتُه

توجيه العطف بالواو:

عطْفُ لفظِ ﴿وَٱلۡحِكۡمَةِۚ﴾ على ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ﴾: إمّا عطْفُ خاصٍّ على عامٍّ، باعتبارِ كون معنى ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: تعمّ القرآنَ كلّه؛ لأنّه معجزٌ عن معارضته، فكان آيةً على أنّه من عند اللّه، ومعنى الحكمة: ما في القُرآنِ من مَواعظَ وأحكامٍ شرعيَّة؛ بدلالة قوله تعالى – بعد ذكر الأحكام التي في سورة الإسراء –: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ﴾ [الإسراء: 39][1]، أو عطفُ صفةٍ على صفةٍ، والعطفُ راجعٌ إلَى تغايرِ الوصفين[2]، والمعنى: اذكرنَ للنّاس من الكتابِ الجامعِ بين وصفين؛ كَوْنَهُ آياتِ اللّهِ البَيِّنَةَ الدّالَّةَ على صدقِ النُّبوّةِ بنظمِه المُعجزِ، وكونَهُ حكمةً منطويةً على فُنونِ العلومِ والشَّرائعِ[3].

القرآن كتابٌ جامعٌ بين كونِه آياتِ اللهِ البيّنةِ، وكونِه حكمةً منطويةً على فُنونِ العلومِ والشَّرائعِ

أو أنّ المراد بـ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآنُ الكريم، عُطفَ عليه ما هو أعمُّ منه؛ بيانًا لشدّةِ الاهتمامِ بالحكمةِ بإدخالها في جملة المتلوّ؛ اعتمادًا على أنّ العاملَ فيه معروفٌ؛ لأنّ التلاوةَ لا تُقال في غير الكتاب، والمعنى: ويبثُّ وينشرُ من العلمِ المزيّن بالعملِ، والعملِ المتقنِ بالعلم[4]، أو هو عطفُ الصِّفةِ على الموصوف، فالحكمةُ من أوصافِ القرآن، قال تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 18.
(2) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 15/ 357.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 103.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 348.

[يونس: 1][1]، أو هو عطفُ السُّنّة على القرآن، باعتبارِ أنّ معنى الحكمة: "ما أوحيَ إلى رسول الله ﷺ من أحكامِ دينِ الله، ولم ينزلْ به قرآن، وذلك السُّنّة"[2]؛ من أقواله ﷺ وأفعاله وتقريراته[3]، وذلك أولى[4].

دلالة تعريف ﴿وَٱلۡحِكۡمَةَۚ﴾ دون إضافة:

حكمةٌ بليغةٌ عامّةٌ ينتفعُ بها نساءُ النبيّ ويبلِّغنها للنّاس

عرَّفَ البيانُ القرآنيُّ لفظَ ﴿وَٱلۡحِكۡمَةَۚ﴾ بأل التّعريف دون الإضافة؛ لإفادةِ العموم؛ بكون اللّام للجنس، فتشملُ الحكمةُ ما اشتملتْ عليه آياتُ القرآنِ من فنونِ الحِكَم والآدابِ والمواعظ، وتشملُ أقوالَ النبيّ ﷺ وأفعالَه وتقريراته، وتشملُ حكمتَهنّ في أقوالهنّ وأفعالهنّ في البيتِ الكريم، وتشملُ أيّ حكمةٍ تقعُ على سمعهنّ من الصحابةِ الكرام، ولو عرّفها بالإضافة كأنْ قال: (حكمةُ الله) أو (حكمةُ رسوله) لتقيّدتِ الحكمةُ بالمضافِ ولاقتصرتْ عليه، فكان التعريفُ أبلغَ وأعمَّ وأشمل.

نكتة فصل جملة الفاصلة عمّا قبلها:

استئنافُ خطابٍ عامٍّ هو تعليلٌ وتذييلٌ لِما سبق

لم يعطفِ القرآنُ قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ على قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، وإنّما فصلَ بينهما؛ لِما بين الجملتين من كمالِ الانقطاع؛ لاختلافهما إنشاءً وخبرًا، فالجملةُ الأولى: إنشائيّةٌ، والثانية: خبريّةٌ، ولهذا تعيّنَ الفصلُ بينهما، وبهذا الفصل جاءتْ جملة الفاصلة استئنافَ خطابٍ عامّ، هو تعليلٌ وتذييلٌ للجملِ السابقة.

سرّ إظهار اسم الله الأعظم:

مَن لهُ جميعُ العظمةِ له كمالُ اللطفِ والعلم

أظهرَ النَّظمُ الحكيمُ اسمَ اللهِ الأعظم ﴿ٱللَّهَ﴾ ولم يُضمره في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ فلم يقلْ: (إنّه كان لطيفًا

(1) الشّعراوي، تفسير الشعراوي: 19/ 12027.
(2) الشافعي، أحكام القرآن، ص: 74، وابن جرير، جامع البيان: 20/ 268، والشّعراوي، تفسير الشعراوي: 19/ 12027.
(3) سيد طنطاوي، التفسير الوسيط: 11/ 209.
(4) الشّعراوي، تفسير الشعراوي: 19/ 12027.

خبيرًا)، على الرغم من أنّه سبقَ ذكره في قوله: ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ تربيةً للمهابةِ والتّعظيم في نفوسِ المستمعين، ونفوسِ أمّهات المؤمنين، والمعنى: إنّ اللّهَ الذي له جميعُ العظمة[1]، وتناسبًا مع سياقِ العظمة والجلال لتنزّلِ القرآن الكريم في قوله ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، وزيادةَ تأكيدٍ لِما تضمّنتهُ الجملةُ من إخبارٍ باتّصافِ اللّهِ سبحانه باللطيفِ الخبير.

نكتة التّعبير بفعل الكينونة:

اتّصافُ اللهِ باللُّطْفِ والعلم وصفٌ لا ينفكُّ عنه سبحانه

يدلُّ فعل الكينونة ﴿كَانَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ على أنّه تعالى مَوصوفٌ باللُّطفِ والعِلم، والمعنى: إنّ اللّهَ الذي له جميعُ العظمةِ لم يزلْ لطيفًا خبيرًا[2]، فهو المتّصفُ أزلًا وأبدًا باللطفِ، المتضمّنُ علمه بالأشياء الدّقيقة، وهو المتّصفُ أزلًا وأبدًا بالخبرة، فهو العالمُ بالأسرارِ والخفايا، فيشملُ عُمومُ لُطفِه وعِلْمِه لُطفَه بِهنَّ، وعِلْمَه بما فيه نفعُهنَّ[3].

بلاغة التّوكيد في جملة الفاصلة:

مبالغةٌ في توكيدِ شمولِ لُطفِه وعِلْمِه لُطفَه بنساءِ النبيّ ﷺ

تضمّنتْ جملةُ الفاصلة، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ عدّةَ مؤكّداتٍ لاتّصافه سبحانه بصفةِ اللّطف والعلم، وخاصّة بنساءِ النبيّ ﷺ؛ هي: التوكيدُ بـ﴿إِنَّ﴾ التي تفيدُ توكيدَ النّسبة بين المسندِ والمسندِ إليه في الجملة، والتوكيدُ بفعلِ الكينونة ﴿كَانَ﴾ الذي يفيدُ الدَّيْمومةَ، والتوكيدُ بالجملةِ الإسميّة التي تدلّ على الثباتِ والاستمرارِ وقوّةِ الحكمِ وبقائه، وقد جاءتْ في الآية مرّتين، والتوكيدُ كذلك بتكرارِ الخبر في قوله: ﴿كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾؛ إذ "﴿لَطِيفًا﴾ خبرٌ أوّل، ﴿خَبِيرًا﴾ خبرٌ ثانٍ"[4]، وكذلك تأكيدُ اتّصافِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 348.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 348.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 19.
(4) الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 7/ 483.

اللّهِ باللطيف الخبيرِ بإظهارِ الاسمِ الجليل الذي يجمعُ صفاتِ الجلالِ والكمالِ، وله جميعُ العظمةِ، وعدم إضماره.

وتكمنُ بلاغةُ التوّكيد في أنّ الآياتِ السابقةَ تستحضرُ المنافقين في خطابها كلِّه تعريضًا؛ فكلُّ ماسبقَ من أوامره تعالى ونواهيه لأزواج النبيّ ﷺ في الأمورِ الخفيّة الباطنة، وفي الأمور الظاهرة - تدلُّ على أنَّ اللّهَ محيطٌ بأدقِّ الدّقائق وأخفاها، وتؤكّد شمولَ وعمومَ لطفه وعلمهِ لكلّ شيءٍ، وخاصّةً لُطفَه بِنساء النبيّ ﷺ، وعِلْمَه بما فيه نفعُهنَّ.

وجه التعبير بـ﴿لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ دلالةً وصيغة:

كلُّ ما وُجِّهَ إلى نساءِ النبيّ نفْعٌ لهنّ بطريقةٍ لا مشقّةَ فيها فهو العليمُ بما يصلحهنّ

عبّرَ البيانُ الحكيم بصفتي اللطيف والخبير في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾؛ مناسبةً للسياق والمقام: أمّا التعبيرُ باللطيف فلأنَّ اللُّطْفَ يقتَضي إسداءَ النَّفْعِ والبرِّ وجميلِ الفعلِ بِكَيْفيَّةٍ فيها سهولةٌ ورفقٌ ورأفةٌ ورحمةٌ[1]، لا تَشُقُّ على المُسْدَى إلَيْهِ[2]، وفيما وُجِّهَ إلَى نساء النبيّ ﷺ مِنَ الأمْرِ والنَّهْيِ كلُّه نفْعٌ لهنّ بطريقةٍ لا مشقّةَ فيها ولا إعنات، وهذا عينُ اللُّطفِ بهنّ[3]، واللطفُ كذلك هو التّدبيرُ الذي ينفذُ في صغيرِ الأمورِ وكبيرها؛ أي: تدبيرهُ سبحانه لأمّهات المؤمنين تدبير من لا يخفى عليه شيء، ولا يكون ذلك إلا بإجرائه على حقّه[4]، إذن: "فاللطيفُ هو الذي اجتمعَ له الرِّفقُ في الفعل، والعلمُ بدقائقِ المصالحِ، وإيصالها إلى مَنْ قدّرها له مِنْ خَلقه بسبُل خفية"[5]، وعليه فـ" اللطفُ من اللّهِ التّوفيق والعصمة"[6]، وهذا يتناسبُ مع شرعه سبحانه لأمّهاتِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لطف).
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 218.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 19.
(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 218.
(5) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: 4/ 1977.
(6) أبو بكر الرازي، مختار الصحاح: (لطف).

المؤمنين من أوامرَ ونَواهٍ عَصَمَهُنَّ بها ممّا لا يليقُ بهنّ، ولمْ يكلّفهم إلا بما يطيقون.

وأمّا الخبير؛ فلأنّ ما شرعه من أوامرَ ونَواهٍ قائمٌ على كونه عالمًا ببواطنِ الأشياء، وبما كانَ وما يكونُ[1]، فلا يخفى عليه شيءٌ، فلا يجوز لأحدٍ أنْ يستدركَ عليه.

كما أنّ ذِكْرَ هذين الاسمين من أسماءِ الله الحسنى، يشيرُ إلى أنّ ما قد تهمسُ به النّفوسُ في سرائرها في سياقِ آياتٍ تتحدّثُ عن الملاينةِ في القول، والتّبرجِ، والقولِ السديدِ الصائب، وغير ذلك ممّا هو خاصٌّ بالسلوكِ؛ لا يفوتُ اللطيفَ الخبير الذي لا تعزبُ عنه همهمةٌ في قاعها السحيق.

المبالغةُ في لطفِ اللهِ وعلمِهِ تبعثُ الثّقةَ برحمةِ اللهِ وعظيمِ تدبيره

وأمّا الصيغة فإنّ لفظ ﴿لَطِيفًا﴾: إمّا أنْ يكون اسمَ فاعلٍ من (لطَف) - بفتح الطاء - يدلُّ على صفةٍ من صفاتِ الأفعال، وهي وصفهُ تعالى بالرّفقِ والإحسان إلى مخلوقاته وإتقانِ صنعه في ذلك، وكثرةِ فعله ذلك، وإذا حُملَ في الآية على هذا المحملِ كان وصفًا مستقلًّا عمّا قبله لزيادةِ تقريرِ لطفهِ بأمّهاتِ المؤمنين، أو صفةً مشبّهةً من (لُطُف) - بضمّ الطاء - تدلُّ على صفةٍ من صفاتِ ذاتِ الله تعالى، وهي صفةُ تنزيهِهِ تعالى عن إحاطةِ العقول بماهيّته، أو إحاطةِ الحواسِّ بذاته وصفاته، وهي بذلك تتنزّلُ من الجملة التي قبلها منزلةَ التّذييل، أو منزلةَ الاستدلالِ على الجزئيّة بالكلية، فيزيد الوصف قبله تمكّنًا[2]، وكلا المحمَلَيْن يدلُّ على المبالغة.

وأمّا لفظُ ﴿خَبِيرًا﴾ فهو صفةٌ مشبّهة من (خبُر) - بضمّ الباء - في الماضي، خُبْرًا - بضمّ الخاء وسكونِ الباء - بمعنى عَلِمَ وعَرَفَ، وهي على وزن فعيل، وهي من أبنيةِ المبالغة، وغرضُ المبالغة

(1) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (خبر).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/ 417.

في التّعبير بالاسمين الجليلين أنْ تَبعثَ الثقةَ عند نساءِ النبيّ ﷺ برحمةِ اللّهِ وعظيمِ تدبيره فيما أمرهنّ به ونهاهنّ عنه.

فائدةُ تقديمِ صفةِ اللطيفِ على الخبيرِ:

وَصْفُ اللطيف يُتمِّمهُ وصفُ الخبير

قدّم البيانُ الحكيم اسم الله (اللطيف) على (الخبير) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾؛ لكونها عادةً قرآنية، ولأنّ من معاني اسمِ اللطيفِ الرفقَ والرأفةَ والرحمةَ[1]، ورحمتهُ سبحانه وسعتْ كلَّ شيء فتتقدّمُ، كما أنّ وصْفَ اللطيفِ يُتمِّمُهُ وصفُ الخبيرِ، فإذا كان اللطفُ يعني الدّقة في تناولِ الأشياءِ، وحُسْن التأتّي، فالخبرةُ تعني معرفة الموضع، فاللطفُ لا يتأتّى إلا بالخبرة[2]، وإذا كان اللطيفُ هو الرَّفيقُ المُحْسِنُ، فالخبيرُ هو العالمُ بمواقعِ الرِّفقِ والإحسانِ وبمستحقيه، وهذا فيه احتراس[3]، زدْ على ذلك أنّ في تأخيرِ اسمِ الله الخبير مراعاةً للفاصلةِ القرآنية القريبة منها ﴿تَطْهِيرًا﴾ و﴿عَظِيمًا﴾.

نكتة تنكير الاسمين الجليلين ﴿لَطِيفًا خَبِيرًا﴾:

اللـه سبحانه عظيمٌ في لطفِه وعلمِه

نَكَّرَ البيانُ الحكيمُ الاسمينِ الجليلينِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ في سياقِ التفخيمِ لمقامِ أمّهاتِ المؤمنين، ولمقامِ تنزّلِ آياتِ القرآن والحكمة، وسياقِ تتابعِ المؤكّدات في فاصلةِ الآية؛ لإفادةِ معنى التّفخيمِ والتّعظيمِ للطفِ اللّه تعالى بخلقه وبهنّ، وعلمِهِ بما يرفعُ من شأنهنّ، وهذا اللطفُ والعلمُ العظيمان الذي لا يحُدُّ حدّهُما ولا يُقادرُ قدْرهُما يُفرّغان الطمأنينةَ والأنسَ على قلبِ نساءِ النبيّ ﷺ.

بلاغة التّعليل في جملة الفاصلة:

جملةُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ تَعليلٌ لِما سَبَقَ مِنَ الأوامرِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لطف).
(2) الشّعراوي، تفسير الشعراوي: 19/ 12029.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/ 417.

والنّواهي الموجهةِ لأهلِ البيتِ الكريم، وتَذييلٌ عظيمٌ للجُمَلِ السّابقةِ؛ والتعليلُ صالحٌ لمحاملِ الأمرِ كلِّها؛ لأنّ اللُّطْفَ يقتضي إسداءَ النَّفعِ بكيفيّةٍ لا تشقُّ على المُسْدى إليه، وفيما وُجِّهَ إلى نساءِ النّبيّ ﷺ من الأمر والنهي ما هو صلاحٌ لهنَّ وإجراءٌ للخير بواسطتهنَّ، وكذلك في تيسيره إيّاهنّ لمعاشرةِ الرّسول ﷺ، وجعلهنّ أهلَ بيوته، وفي إعدادهنّ لسماعِ القرآن وفهمه، ومشاهدةِ الهدي النبويّ - كلّ ذلك لطْفٌ لهنَّ، هو الباعثُ على ما وجَّهَهُ إليهنّ من الخطاب ليتلقّينَ الخبرَ ويبلّغنَهُ، ولأنَّ الخبيرَ إذا أرادَ أن يُذهبَ عنهنّ الرجسَ ويطهرهنّ حَصَلَ مرادُه تامًّا لا خلَلَ ولا غفلة[1]، ويعلمُ ما يصلحُ في الدّينِ، ولذلك فعلَ ما فعلَ من الأمرِ والنَّهي، ويعلمُ مَن يصلُحُ للنُّبوةِ ومن يستأهلُ أنْ يكونَ من أهلِ بيتِه، أي: علمَ أنّ قلوبهنّ من أطهرِ القلوبِ فاختارهنّ قرينات وقرائب للرّسول ﷺ[2].

من صفتِه سبحانه اللُّطفُ والعِلمُ ومن لطفِه وعلمِه مكانتهنّ من رسولِ الله

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التلاوة والقراءة:

التلاوةُ أخصُّ من القراءةِ من جهةِ أنّها قراءةٌ على وجهٍ مخصوص، وتعني القراءة المتتابعة، وغلبَ في العرفِ إطلاقها على قراءةِ القرآن؛ لأنّ القارئ يتبعُ كلَّ كلمةٍ أختها، فالتلاوةُ لا تكونُ في الكلمةِ الواحدة، تقول: قرأ فلانٌ اسمه، ولا تقولُ تلا اسمه[3]، كما أنّ التلاوةَ تختصُّ باتّباع كتبِ الله المنزّلة بالعلم والعمل، وهذا الاتّباع يكون تارةً بالقراءة، وتارةً بالارتسام لما فيها من أمرٍ ونهي، وترغيبٍ وترهيبٍ، أو ما يُتَوهّمُ فيهِ ذلكَ، وهوَ أخصُّ من القِراءَةِ، فكلّ تلاوةٍ قراءة، وليس كلّ قراءةٍ تلاوة[4]، ويمكن أنْ تكونَ القراءةُ أعمَّ من

اتّباع ما في الذِّكْر من أمرٍ ونهيٍ وترغيبٍ وترهيبٍ أنسَبُ لمقام أمهات المؤمنين

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 19.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 348، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 103.
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 27، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (تلو).
(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 140، والرّاغب، المفردات: (تلو).

جهةِ أنّ (تلا) تُستعملُ للقراءة من مكتوبٍ بصوت، ويُتسامحُ فيها فتكون من غير مكتوبٍ لكن بصوت، و(قرأ) تستعملُ للقراءة من مكتوب ومن غير مكتوب، بصوتٍ وبغير صوت، فإذا عُدّيا بـ(على) فهما بصوت[1]، ومن هنا كان استعمالُ لفظِ التلاوة في الآية أنسبَ مع السياق الذي فيه أمرٌ لأمهاتِ المؤمنين بذكر ما يُتلى، أي ما ينزلُ متتابعًا ويُقرأُ بصوت أمامهم، فَضْلًا عن اتّباع ما فيه من أمرٍ ونهيٍ وترغيبٍ وترهيب.

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي: (تلو).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والأربعون،
سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 45 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-98-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 45 : المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-98-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9766833 بتاريخ 2025/01/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»